النشاط الاقتصادي للمغاربة والأندلسيين بمصر في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)

د. حياة عبود العامودي

قسم التاريخ والآثار - كلية الآداب - جامعة الأميرة نوره بالسعودية

مدخل تاريخي :

إن مما دفعني للبحث في هذا المجال من الدراسات التاريخية ، الحاجة والرغبة معاً لمعرفة دور المغاربة والأندلسيين بمصر خلال العصر المملوكي، فمن ناحية كان لوقوع مصر على طريق التجارة العالمي بين الشرق والغرب أثره في أن شهدت الموانى والمدن المصرية العديد من التجار المغاربة والأندلسيين الذين كان لهم الفضل في نقل ما في مصر والمغرب والأندلس من ثروات طبيعية كثرت هنا وانعدمت هناك ، أو العكس ، ولا ننسى أن مرور ركب الحج المغربي والتكروري عبر الأراضي المصرية مع طول مراحله وبدائية وسائل المواصلات آنذاك ، قد نتج عنه ممارسات الكثير من الحجاج المغاربة والأندلسيين لبعض الحرف للحصول على زاد الطريق، وأخيراً فقد أدى التداخل المكاني لأرض الصحراء الغربية في مصر مع أرض الصحراء الليبية ، مع صيرورة الغلبة العددية هناك لفروع القبائل البربرية من لوتة وهوارة على قيامهم بجهود معلومة في تعمير تلك النواحي

١- عوامل مؤثرة في النشاط الاقتصادي بمصر:

لقد ارتبطت حياة مصر وسكانها بالنيل منذ أقدم العصور فكان سبباً لرخائها تارة ولشقائها تارة أخرى على الرغم مما تفصله به المصادر من استقرار اقتصادي في هذا

العصر، إلا أنه قد حدثت فيه هزات اقتصادية كانت بسبب انخفاض النيل والأوبئة وأيضا بسبب الفتن والاضطرابات الداخلية وغيرها وهي تعود إلي الإنسان نفسه .

أ- انخفاض وارتفاع منسوب النيل :

ظلت الحياة الاقتصادية بمصر حتى العصور الحديثة تعتمد على فيضانات النيل لذلك يأتي نهر النيل في مقدمة الأسباب الطبيعية لحدوث الأزمات الاقتصادية، وذلك للدور الخطير الذي يلعبه النهر في حياة المصريين ، وقد أدرك المقريزي حقيقة ذلك فيقول " لولا ما جعل الله في نيل مصر من حكمة الزيادة في زمن الصيف على التدرج حتى يتكامل ري البلاد وهبوط الماء عليها عند بدء الزراعة لفسد إقليم مصر وتعذر سكناه لأنه ليس فيه أمطار كافية ولا عيون جارية وتعم أرضه إلا بعض اقليم الفيوم "[1] .

وحدثت أول هذه الأزمات في عهد المماليك عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م ففيها هبط منسوب الماء وبلغ ستة عشر ذراعاً وسبعة عشر إصبعاً [2] .فارتفعت الأسعار ومما زاد الموقف سوءا وقوع الوباء وتزايد موت الناس حتى وصل عدد الموتى في شهر ذي الحجة سبعة عشر ألفا وخمسمائة فرد، هذا خلاف الغرباء والفقراء الذين كانوا أضعاف ذلك ولم يسجلوا في ديوان المواريث الحشرية [3].

---

(١) المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، القاهرة ١٩٩٤ م ، ج ١ ص ١٠١ .

(٢) بيبرس المنصوري : التحفة المملوكية في الدولة التركية ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية مصر ١٩٨٧ م ، ص ١٤٤ ؛ زبدة الفكر في تاريخ الهجرة ، تحقيق زبيدة محمد عطا ، الرياض (د-ت) ج ٩ ص ٢٨٦ ، المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٤ ، ج١ قسم ٣ ص ٨١٠ .

(٣) المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ قسم ٣ ص ٨١٠ .

وازداد الموقف شدة بهجرة الكثير من أهل برقه إلى مصر وذلك لوقوع غلاء عظيم في برقه وهجوم الجراد، فساعد ذلك على ارتفاع الأسعار وكثرة الموت واشتد الأمر بالناس لدرجة أنهم أكلوا الميته والكلاب والقطط [١] .

ويتوالى نقصان منسوب المياه بالنيل حيث وقع ثماني عشر أزمة بسبب نقصان منسوب المياه منها في أعوام ٦٩٤ -٦٩٥هـ و ٦٩٧ هـ و ٧٢٠ هـ و٧٣٩هـ و٧٧٥ هـ و ٧٩٦ هـ و٨٥٣ هـ ٨٥٤هـ إلى حد مناسب للزراعة ولكن سرعان ما هبط المنسوب مما جعل الفلاح يلجأ إلى سرعة زراعة المحصول قبل موعده فيتعرض للآفات الزراعية وقد حدث ذلك خلال سنوت (٧٥١هـ / ٧٦٤هـ ٨٣٠هـ / ٨٣٧هـ / ٩١٦هـ)[٢] .

وفي نفس السياق تعرض المصريون لكثير من الأوبئة نتيجة عدم الاهتمام بالنظافة والقيام بدفن الموتى في مقابر قريبة من المدينة [٣] وأيضا انتشار المستنقعات الناتجة عن انحسار النيل فتؤدي إلى العفن والرطوبات الفاسدة .

والدليل على ذلك ما حصل في عهد الظاهر برقوق عام ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م حيث انتشر الطاعون بمصر فارتفعت أسعار المواد التي يحتاج إليها المرضى[٤] وتلاحظ أن الموت كان منتشراً في الطبقات الفقيرة مثل العبيد والجواري وذلك نتيجة ضعف القوة

---

(١) العيني عقد الجمان ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٥ م ، ص ٢٧٧ .

(٢) جومار ، وصف مدينة القاهرة ، ترجمة بشير السباعي ، اقاهرة ١٩٨٥ م ، ص ٢٤٨ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، مكتبة دار ابن خلدون ، بيروت ، ص ١٢٢ .

(٤) ابن الفرات ، الطريق الواضح السلوك الى معرفة تراجم الخلفاء والملوك المعروف بتاريخ ابن الفرات قام على نشره قسطنطين زريق ، مطبوعات الجامعة الأمريكية بيروت ، سنوات ١٩٣٦-١٩٤٢م ، م٩ ، ص ٢٧ .

الشرائية للمواد الغذائية المرتفعة الأسعار وكانت أكثر البلاد ضرراً من هذه الامراض بلاد الصعيد[١] ومدينة فوة[٢] وبلبيس[٣] وغيرهما[٤]. وفي عهد السلطان الغوري عام ٩١٠ هـ/ ١٥٠٤م انتشر الطاعون وأهلك كثيرا من الأطفال والمماليك والعبيد والجواري والفقراء وبلغ عدد الموتى في القاهرة في اليوم الواحد أربعة آلاف ميت وارتفعت أسعار الأدوية التي يحتاجها المرضى[٥].

وإلى جانب ذلك وجد الفساد الإداري حيث بعدت وظيفة الحسبة عن مهامها وانحرفت عن أهدافها بسبب الرشوة والبذل فنتج عن ذلك أن وصلت هذه الوظيفة إلى درجة كبيرة من المهانة والفساد ومثال ذلك : المحتسب محمد بن شعبان الذي تولى الحسبة في العاشر من رمضان عام ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م فقد بلغ درجة كبيرة من الفساد فقام والي القاهرة بضربه بحضرة الناس أربعين عصا لسوء سيرته وتولى الحسبة زيادة عن عشرين مرة بالبذل وكان يفتخر بذلك[٦] وأيضاً الشيخ علي بن نصر- الخراساني الذي تهافت على تولي الحسبة فتولاها عام ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١ م بدلاً من العيني (المؤرخ) وسار فيها أقبح سيرة وجدد فيها كثيراً من المظالم[٧].

---

(١) العيني ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق عبد الرازق الطنطاوي القرموط ، القاهرة ١٩٨٥ م ص ٤١٩ .

(٢) فوة: بلدة على شاطئ النيل من نواحي مصر قرب رشيد بينها وبين البحر نحو خمسة فراسخ أو ستة وهي ذات أسواق ونخل كثير ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ج٤ ، ص ٢٨٠،

(٣) بلبيس: مدينة بينها وبين الفسطاط عشرة فراسخ على طريق الشام ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ص ٤٧٩ .

(٤) المقريزي ، السلوك ، ج٤ قسم ٢ ص ٨٢٦ .

(٥) ابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ١٩٨٢ -١٩٧٤ ، ج٤ ، ص ٧٦ .

(٦) أحمد سيد دراج ، الحسبة وأثرها على الحياة الاقتصادية في مصر المملوكية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١٤ ، ، القاهرة ١٩٦٨م ص ١٤، ص ١٢٠ .

(٧) السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٥ هـ ، ج٦ ، ص ٤٧ .

أما عن عوامل الازدهار فهي كثيرة منها استقرار الحكم في بعض السلاطين مثل الظاهر بيبرس وعائلة قلاوون وقايتباي، إضافة إلى ما قاموا به من إلغاء الكثير من الضرائب حيث أرسل السلطان الظاهر بيبرس مرسوماً لمتولي قوص وهو علاء الدين الخازندار بأنه يتوجه إلى سواكن [١] ، لحماية تجار الكارم [٢] فخرج بصحبته عدد من المراكب وجهز إليه من القصير خمس سفن حربية [٣] ولعل هذا المثال يكفي دليلاً كافيا كافيا على وجود أسطول حربي للمماليك في البحر الأحمر لحماية الموانى والتجار .

وقد بذل السلاطين الاقوياء جهودا في بناء دولة المماليك واستقرارها علي الجبهتين الداخلية والخارجية [٤] وقام السلطان المنصور قلاوون باستخدام العرب في حملاته ضد ضد قاطعي الطرق وتأمينها [٥] إضافة إلى عناية الدولة بالجسور والترع والخلجان [٦] .

---

(١) سواكن : بلد مشهور على ساحل البحر الأحمر قرب عيذاب ترفأ اليه سفن الذين يقدمون من جدة ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص ٢٧٦ .

(٢) الكارم : تضاربت آراء الباحثين حول الكارم ، فمنهم من يرى أنهم فئة من التجار اشتغلوا باحتكار تجارة الهند والشرق الأقصى وشرقا أفريقيا في التوابل وسلع أخرى، وقد ورد ذكر كلمة كارم صراحة في خطابات من الجنيزاه ويرى البعض أن أصل الكارم هي كلمة هندية وبداية هذه التجارة كانت في العصر الفاطمي واستمرت إلى العصر المملوكي. محمد عبد الغني الاشقر ، تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ص ٢١-٤٠ ، حسنين محمد ربيع : وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي لموانى الحجاز واليمن في العصور الوسطى ، بحث في موسوعة دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، ح ٢ ، طبعة الرياض سنة ١٩٧٩ ، ص ١٣٢ .

(٣) العيني ، عقد الجمان ، ج١ ، ص ٤٢٨ .

(٤) المنصوري ، مختار الأخبار ، تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك حتى سنة ٧٠٢ هـ تحقيق عبد الحميد حمدان ، الدار المصرية اللبنانية القاهرة . ١٩٩٣ م ، ص ٢٣ .

(٥) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر الأكبر (بيروت ١٩٨١) ج ١٠ ، ص ٨٦٢ -٨٦٣ .

(٦) محمد فتحي الزامل ، التحولات الاقتصادية في مصر أواخر العصور الوسطى ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ٢٠٠٨ م ، ص ٣٠

ب ـ الفتن والاضطرابات الداخلية :

من العوامل البشرية المؤثرة على النشاط الاقتصادي كثرة الفتن والنزاعات داخل مصر واشتهرت سلطنة المماليك بكثرة الثورات والمؤامرات ويرجع السبب الرئيسي في ذلك إلى المماليك نظرا لعدم وجود قواعد ثابتة لتولي الحكم فالأمراء جميعا متساوون والملك للأقوى والأكثر حنكة وأتباعاً وقد أدى ذلك إلى كثير من الفتن والثورات والاضطرابات[1] والأمثلة عن هذه الثورات كثيرة[2] .وقد تأثرت القبائل المغربية المقيمة بمصر ، وكذلك الأندلسيون بهذه الفتن والاضطربات الداخلية.

أما بالنسبة لاضطرابات القبائل وخصوصا القبائل المغربية ومنها زناته فنجدها كثيرة إلا أننا سوف نقتصر على سرد بعض الأمثلة نظرا لضيق مساحة البحث، فمن هذه الاضطرابات في كل من الجيزة والفيوم والبحيرة تخبرنا المصادر بمدى الشغب الواقع منهم وخصوصاً عام ٧٤٤ هـ[3] واستمر حتى عام ٧٤٧ هـ وخمدت لظروف لم نجد لها ذكرا لكن تتجدت في سنوات أخري متقطعة[4] وزاد من قوة هذه الثورات ضعف السلطة وضياع هيبتها أمام الأمراء الذين سرعان ما يولون سلطان ويقيلون آخر وكانا من بين اسباب الصراع ما يفرضونه من مال على السلطان الجديد وهذا

---

(١) إبراهيم حسن سعيد ، الجيش في عصر المماليك ، رسالة ماجستير غير منشورة بأداب القاهرة ، ١٩٨٧ م ، ص ١٧٧

(٢) عن هذه الثورات انظر حياة ناصر الحجي ، أحوال العامة في حكم المماليك ، الكويت ١٩٨٤ م ، ص ١٢٢ - ١٦٦ .

(٣) المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٧٠ م ج ٢ ، قسم ٣ ، ص ٦٥٦ -٦٥٨ .

(٤) حول شغب قبائل لواته في أعوام ٧٤٨ هـ ، ٧٤٩ هـ ، ٧٥١ هـ ، ٧٥٢ هـ ، ٧٠٠-٧٠١ هـ ، ٧٥٦هـ ، ٧٦٧هـ ٧٦٧هـ انظر المقريزي السلوك ج٢ ، ق ٣ ، ص ٧٢٨ ، ٧٣١- ٧٣٢ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥٢ ، ٧٧٠ ، ٨١٦ ، ٨٤١ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦، ٨٦١ ، ٨٦٤ ، ٨٦٧ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٩٠٧ ، ابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج١ ، ق١ ، ص ٥٥٠-٥٥١ ، ج١ ق٢ ص ٢٩ .

السبب هو الذي جعل السلطان المنصور على بن الأشرف شعبان (٧٧٨-٧٨٣هـ / ١٣٧٦ -١٣٨١م) يفرض زيادة في الضرائب على أصحاب المزارع ومنهم البدو بنواحي البحيرة وذلك عام ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م فرفض البربر هذه الضرائب لفداحتها وتصدى لزعامة الرافضين لدفع هذه الضرائب بدر بن سلام الزناري [١] وهو من لواته وهؤلاء هم بطون هوارة البربرية من بيوتات بني مجريش وبنوا سرات وبني قطران وبني كريب [٢] وقد أقدمت السلطة المملوكية على ترحيلهم عن مواطنهم بالبحيرة إلى نواحي الصعيد وفي ذلك يقول القلقشندي : " ولم تزل منازلهم بالديار المصرية ... فغلبهم .. برقوق عن أماكنهم من البحيرة جيرانهم من زنارة وحلفائهم من بقية عرب البحيرة فخرجوا منها إلى صعيد مصر ونزلوا عمل إخميم [٣] في جرجا [٤]، وما حولها " [٥] .

لذلك قررت السلطة المملوكية في ربيع الآخر ٧٨٤هـ / يونيه ١٣٨٢م إرسال تجريدة لإقرار الأمن في هذه الجهة وعن ذلك يقول ابن إياس : " وفيه خرجت تجريدة إلى عربان البحيرة فخرج فيها من الأمراء خمسة أمراء مقدمين ألوف وأربعة أمراء

---

(١) بدر بن سلام : وبدر الزناري من لواته وينتمي إلي بني مرديس أو مزديش الزناريين ذوي الشوكة وأصحاب اليد العليا على جيرانهم بأرض البحيرة، وانعقدت الرياسة لبيت بدر بن سلامة وابنائه على عشائر هوارة ومزاته وزنارة بارض البحيرة حتى كانوا يقدمون عنهم أداء الخراج المقرر للخزانة كل عام ، انظر ابن خلدون : العبر ،ج١٠ ، ص ١٠٠٧-١٠٠٨ .

(٢) القلقشندي قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق إبراهيم الابياري ، دار الكتب الحديثة مصر- ١٩٦٣ م ، ص ١٦٨ ، المقريزي ، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق عبد المجيد عابدين ، دار المعرفة الجامعية ، إسكندرية ١٩٨٩ م ، ص ٥٦ .

(٣) إخميم : بلد بالصعيد في الإقليم الثاني وهي مدينة قديمة على شاطئ النيل وبها مباني عجيبة كثيرة قديمة وتقع أغلب هذه المدينة في شرقي النيل. للمزيد انظر ياقوت الحموي مصدر سابق ، ج١، ص ١٢٣ -١٢٤ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية مصر ١٩٩٤ م ، ج١ ، ص ١٢٦ .

(٤) جرجا : قرية من أعمال الصعيد قرب إخميم وينسب إليها كثير من العلماء . انظر ياقوت الحموي مصدر سابق ، ج٢ ، ص ١١٩ .

(٥) القلقشندي : قلائد الجمان ، ص ١٦٨ .

طبلخانات[1] وعشرة أمراء عشرات [2] ،ومن المماليك السلطانية [3] مائتي مملوك فلما توجهوا إلى البحيرة هربت العرب البربر من وجههم فساقوا من مواشيهم نحو ثلاثة آلاف رأس من الغنم الضأن وستة آلاف رأس من المعز ورجع العسكر وهم في غاية النصر" [4].

وهكذا اضطرت السلطة المملوكية إلي إرسال تجريده عسكرية بقيادة عدد غير قليل من الأمراء الطبلخانات والعشرات تمكنت من إعادة الهدوء إلى نواحي الصعيد وشجع هذا الأمير أقبغا الجمالي [5] كاشف الوجه القبلي علي القيام بمعاقبة أهل الصعيد " بأن عاث في البلاد عبث الذئب في زريبة الغنم وصادر أهلها وعاقبهم أبشع عقوبة حتى أخذ أموالهم[6].

---

(١) الامراء الطبلخانه : تدل هذه التسمية على أن عملهم دق الطبول وغيرها من الآلات الموسيقية في المواطن الرسمية أو في الأمور الهامة وسموا بأمراء ثمانين وسبعين، وأقلهم أمراء أربعين وكان الجنود الذين تحت أيديهم أقل من الجنود الذين تحت أمراء الألوف وامراء الطبلخانات كانوا تحت قيادة أمراء الألوف ، زين العابدين شمس الدين ، معجم الألفاظ والمصطلحات التارخية . القاهرة ٢٠٠٦ م ، ص ٧١-٧٢ .

(٢) امراء العشرات : كان لكل أمير من هؤلاء عشرة مماليك خاصة به، وقد يكون تحت إمرته أكثر كعشرين أو أقل مثل خمسة، وهؤلاء الأمراء معظمهم من أبناء الأمراء المقدمين أو الطبلخانات تقديرا لخدمات آبائهم ،. انظر زين العابدين شمس الدين ، مرجع سابق ، ص ٧٢ .

(٣) المماليك السطانية : هم أعظم الأجناد شانا وأرفعهم قدرا وأوفرهم إقطاعا ومنهم تؤمر الأمراء رتبة بعد رتبة وهم من المماليك الذين يشتريهم السلطان أو يبقيهم من مماليك السلطان السابق ومرتباتهم جميعا من ديوان المفرد ، انظر زين العابدين شمس الدين ، مرجع سابق ، ص٥١١ .

(٤) ابن إياس : بدائع الزهور ، قسم ٢ ، ج١ ، ص ٣٠٥ ، المقريزي ، السلوك ، ج٣ ، ق ٢ ، ص ٤٧٠ .

(٥) أقبغا الجمالي : الأستدار نسبة إلى أستاذه الأمير كمشبغ الجمالي الظاهري ولي الاستادارية في حياة استاذه المذكور مات قتيلا بالبحيرة عام ٨٣٧ هـ في عهد الأشرف برسباي ، ابن تغري بردي ، الدليل الشافي على المنهل الصافي تحقيق فهيم محمد شلتوت ، مكة المكرمة (د-ت) ج ١ ص ١٣٩ .

(٦) المقريزي : السلوك ج ٤ ، ق ٢ ، ص ٨٦٨ -٨٦٩ ، الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، تحقيق تحقيق حسن حبشي ، القاهرة ١٩٧٠ ، ج٣ ، ص ٢٣٤ -٢٣٥.

أما هوارة فكان نصيبهم السجن بقلعة القاهرة [1] . وكان لهذه الإجراءات أكبر الأثر في عودة الهواريين للهدوء وإقرار داود بن سلميان بطاعة السلطان قايتباي الذي جعله في إمرة الوجه القبلي ببلاد الصعيد وذلك في شهر ذي القعدة من عام ٨٩٨ هـ / سبتمبر ١٤٩٣ م ويقول ابن إياس " وفي ذي القعدة أخلع السلطان على داود بن سليمان من أولاد بني عمر أمير عربان هوارة وقرره في أمرة الوجه القبلي ببلاد الصعيد" [2] ويدل هذا الحدث على مدى سيطرة السلطان قايتباي على زمام الأمور .

ج- القرصنة البحرية :

واسفرت هذه الحوادث والاعتداءات عن تعرض مواكب البضائع المغربية من وإلى مصر للنهب والغرق مثلما حدث في شهر شعبان من سنة ٧٦٩ هـ (ابريل ١٣٦٨ م) عندما حاول قائد مركب بضائع وبحارته التصدي لثلاث سفن قبرصية، أغارت على ميناء الإسكندرية أثناء غياب الريس إبراهيم التازي رئيس صناعة الإسكندرية في إغارته على جزيرة قبرص، إلا أن القبارصة استولوا على مركب البضائع، وقتلوا من فيه ونهبوا السلع التي كانت تقدر ببضعة عشر ألف دينار [3] .

ولم يمر وقت إلا وتكرر ذلك أيضا إذ قدم مركب إلى ميناء الإسكندرية وكان يحمل شحنة من الزيت وقد تعرض أفراد هذا المركب لإغارة ثماني سفن فرنجية كان قراصنتها على وشك الإقلاع بعد فشلهم في الإغارة على المدينة وراح جميع ركاب المركب ضحية هذا الحادث . وأهل الإسكندرية يرونهم فلا يغيثونهم " [4] وأثناء

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج٣ ، ص ٢١٧ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ٢٩٧ .

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٧٦ م ، ج٢ ، ص ١١٦٧ .

(٤) المقريزي : السلوك ، ح ٤ ، ق ٢ ، ص ٣٦٠ -٣٦٢ ، ابن حجر : انباء الغمر بأنباء العمر ، تحقيق حسن حبشي ، ، القاهرة ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م ، ح٣ ، ص ٩٤ ، الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، ح٢ ، ص ٣٧٠ - ٣٧١ .

عودة إحدى قوافل التجارة المغربية عبر البحر المتوسط وكانت عبارة عن تسعة مراكب وفي رواية سبعة مراكب اعترض قراصنة القطلانيين الذين كانوا على مقربة من ساحل طرابلس الغرب واستولوا على جميع ما تحمله من بضائع وأسروا بحارتها وأحرقوا ثلاثة منها وذلك في شهر صفر من سنة ٨٣٧ هـ (سبتمبر ١٤٣٤م)[١]

وفي صيف سنة ٨٦٨ هـ (١٤٦٤ م) وأمام ميناء دمياط تعرض مركب بضائع من النوع الضخم بمجرد وصوله من بلاد المغرب لإغارة بعض قراصنة الإفرنج الذين تصادف وجودهم بساحل دمياط ،وذلك في يوم الأحد ١١ ربيع الأول من سنة ٨٧٧ هـ (اغسطس ١٤٧٢م) وذلك دون أن يحاول أحد من حامية المدنية إنقاذ ركاب المركب الذين تعرضوا جميعا للأسر وصور ذلك الصيرفي بقوله: " ولم ينتطح فيها عنزان "[٢] واخر هذه الحوادث البحرية خلال سنة ٩١٦ هـ (١٥١٠م) عندما تعرضت قافلة تجارية من " عدة مراكب فيها مال كثير لبعض المغاربة للنهب بواسطة بعض قراصنة الإفرنج الذين كانوا قد استولوا على مدينة طرابلس الغرب منذ سنة ٩١٤ هـ (١٥٠٨م) ودأبوا على قطع طريق التجارة عبر البحر المتوسط واستولوا كذلك على عدة مراكب فيها مال لبعض المغاربة[٣].

---

(١) -المقريزي : السلوك ج ٤ ق ٢ ، ص ٩٠٥ ، ابن حجر / انباء الغمر ، خ ٣ ، ص ٥١٣ .

(٢) الصيرفي : إنباء الهصر بأبناء العصر ، تحقيق وتقديم حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٢ م ، ص ٤٨١ ،

(٣) ابن طولون : مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، حققه وكتب المقدمة والحواشي والفهارس محمد مصطفى القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢ ، ق ١ ، ص ٣٤٥ ، يشير البكري إلى وجود ميناء يسمى بميناء الأندلسيين كان يقع على الطريق الساحلي مما يلي الإسكندرية غربا واكد على انه كان اقرب للإسكندرية انظر البكري،المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص ٨٦.

٢ - النشاط الرعوي :

كان للعامل الجغرافي أكبر الأثر في انتشار المراعي بطول البلاد نتيجة لسقوط الأمطار، وفياضانات النيل، مما أوجد الكثير من المراعي الخصبة لرعي الإبل والماشية وغيرهما وغلب على ممتهن هذه الحرفة التنقل والترحال سعيا وراء الكلأ مما أسهم في تنقل قبائل الرحل بين الإسكندرية والفسطاط يقول ابن خلدون " قبائل رحالة يتنقلون في نواحي البحيرة [١] هناك ،ويعمرون أرضها بالسكنى والفلح ويخرجون في المشاتي إلى نواحي العقبة عقبة السلوم [٢] وبرقة [٣] وعليهم مغارم الفلح ويندرج فيهم أخلاط من العرب والبربر لا يحصون [٤] وتبعا لهذا فقد وجدت ثروة حيوانية بأعداد كبيرة ولم يقتصر الأمر على الأغنام، والماعز، والإبل، بل أيضا الماشية، وخاصة الأبقار، التي انتشرت قطعانها في برقة وفي بعض نواحي الواحات [٥]. ويبدو أن أعداد الأنعام

---

(١) البحيرة : كورة معروفة من نواحي الإسكندرية بمصر تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ج١، ص ٣٥١

(٢) عقبة السلوم : على حدود مصر من جهة المغرب.

(٣) برقة : من الكلمة العربية وتعني مكان تجمع مياه الأمطار وأرضها حمراء اللون ولها رائحة كريهة ويستخدم ترابها مع الزيت في علاج الجرب الذي يصيب جمال قبائل الطوارق، عكس جمال العرب التي تتحمل المشاق ، وبرقة كثيرة الفواكه والمراعي التي تربي عليها من الحيوانات التي تذبح وتصدر إلي مصر يدبغ بها جلود البقر التي يوتي بها من مدينة أوُجَلة وكذلك الصوف والعسل كما يوجد بها أسواق وحوانيت ، للمزيد انظر ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٦٩ ، الإدريسي نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج ١ ، ص ٣١١ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص ٣٨٨-٣٨٩ ، المقريزي ، البيان والإعراب ص ١٣٤ .

(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر بيروت ١٩٨١ م ، ج١١ ، ص ١٠ .

(٥) الاصطخري : المسالك والممالك تحقيق دي غويه ، لدين ١٩٢٧ م ، ص ٥٢ ، ابن حوقل صورة الارض ، الكتاب ، ص ١٤٥ -١٤٦ المقدسي أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتب مدبولي القاهرة ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م ص ٢٠١ البكري المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، مكتبة المثنى بغداد ص ١٤ ،١٥ ، ويشير إلى استخدام أهل البهنسا والواحات الأبقار في جر عربات النقل .

والماعز قد تزايد عن حاجة الناس في منطقة الواحات، حتى إنها توحشت وعن ذلك يقول ابن حوقل " فهي تتوارى من الناس وتصاد ما يصاد الحيوان البري [١] .

٣- النشاط الزراعي :

قامت عدة زراعات حول الآبار وعيون الماء في كل الواحات وأرض البحيرة وعلى مياه الأمطار كما في الشريط الساحلي، مما يلي الإسكندرية غربا حتى مدينة برقة ومع تغلغل المغاربة في عمق الأراضي المصرية قامت عدة زراعات مستقرة على مياه النيل في إقليم الفيوم يقول النابلسي " حيث استقرت عشائر بني هاني وبني سليمان وبني منكنيت اللواتيين في الجنوب الشرقي للإقليم وبالتحديد عند مدخل الفيوم" [٢] وفي صعيد مصر الأوسط والأعلى [٣] حيث استقر أولاد غريب الهواريون بمنطقة المنيا[٤] وبنو جلدتهم أولاد عمر بإقليم جرجا[٥] حيث انتشرت زراعة القمح والشعير والأرز وبعض البقول[٦] ومن الثمار التمر والكروم والجوز والاترج (الليمون)

---

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٥٣

(٢) النابلسي ، تاريخ الفيوم وبلادة ، دار الجيل بيروت ١٩٧٤ م ، ص ١٤ .

(٣) الصعيد بمصر: بلاد واسعة كبيرة، فيها عدة مدن كبيرة وتنقسم إلي ثلاثة أقسام : الصعيد الأعلى من أسوان وآخره إخميم ، الصعيد الأوسط : من إخميم إلى البهنسا ، الصعيد الأدنى: من البنهنسا إلى قرب الفسطاط ، ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٤٠٨ .

(٤) المنيا : تسمى منية أبي خصيب وهي مدينة كبيرة حسنة، كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل في الصعيد الأدنى ، انظر ياقوت الحموي : مصدر سابق ج ٥ ص ٢١٨ محمد رمزي القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد القدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥ م ، القاهرة ١٩٩٣ م قسم ٢ ج ٣ ص ٢٢١-٢٢٢

(٥) جرجا : وهي بلدة في الصعيد الأدنى قرب إخميم في غربي النيل . للمزيد انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م ج٢ ، ص ١١٩ ، محمد رمزي ، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ج٤ ، ص ١١٣.

(٦) ابن حوقل، صورة الأرض ص ٥٦.

والسفرجل وأصناف أخرى من الفواكه[1]، وفي نفس السياق يوجد التمر والذي يعد المحصول الرئيس في الواحات وكان يتم تخزينه بكميات كبيرة لحين الحاجة إليه في سنوات الجدب [2] .وخُصت واحة سيوه واشتهرت بإنتاج أنواع جيدة من التمر والعجوة بشهادة ابن دقماق الذي أشار إلي هذه الأنواع وذكر أنها تحمل بكميات ضخمة إلى مصر والإسكندرية والصعيد والمغرب[3].

وبالنسبة لمحصول قصب السكر فقد كان يزرع في مناطق عديدة ببرقة [4] والواحات [5] . وفي اقليم جرجا الذي صار عامرا بعد نزول أولاد عمر الهواريين به حيث كان قبل ذلك ارضا غير مأهولة بالسكان والزراعة، وأكثر الهواريون هناك من زراعة قصب السكر واستخلاص السكر منه في معاصر امتلكوها كذلك، وحقق زعماؤهم من وراء ذلك مكاسب طائلة ترجم المقريزي لأحد هؤلاء الأثرياء بقوله" محمد بن عمر الملقب بأبي السنون الذي فخم امره وكثرت امواله فإنه اكثر من زراعة النواحي وأقام دواليب السكر واعتصاره"[6] .

---

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ص ١٥٤ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ص ٢٢٤ ، البكري المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص ٥ ،مجهول ،الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، جامعة الإسكندرية مصر ١٩٥٨ م، ص ١٤٧، ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، تحقيق درفو المرز القاهرة ، ١٣٠٩ هـ ج ٥ ص ١١-١٢.

(٢) البكري ، المغرب في ذكر بلاد المغرب ، ص ١٦-١٧

(٣) ابن دقماق ،الانتصار لواسطة عقد الامصار، ج ٥ ص ١٤

(٤) المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٢ قسم ١ ص ١٩٢

(٥) الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص ٤٤

(٦) المقريزي ، البيان والأعراب عما نزل مصر من الأعراب، ص ٥٨

لذلك اتجه الكثير من المغاربة والأندلسين لاستثمار اموالهم في الزراعة فنجد شمس الدين أبا عبد الله محمد الأندلسي المالقي نزيل الإسكندرية يستثمر أمواله في مجال الزراعة حيث اشترى حقلين زراعيين بالإسكندرية وتفرغ للإشراف عليهما من قصره المطل على منطقة الرملة بالإسكندرية [١].

وهذا ما نلاحظه عند مؤرخي هذه الفترة حيث أكدوا مدى الثراء الذي حصل للواتين من جراء الزراعة في إقليم الفيوم يقول النابلسي " وكانت تغل سنويا ما قيمته أربعة آلاف ومائتين وخمسة وثلاثين دينار نقدا عدا المتحصلات العينية الأخرى [٢].

وعن واحة سيوة وما تغله من إيراد يقول ابن الجيعان: " ما كانت تغله واحة سيوه بمفردها وصوما قيمته خمسة آلاف دينار نقدا سنويا [٣] كما كان إقليم جرجا يغل ما قيمته أربعة وخمسين ألف دينار نقدا[٤] . على حين كانت المساحة الاجمالية المزروعة آنذاك (٨٦٢١ فدان) [٥] وهذه المناطق كلها كانت سكني للعشار البربرية من بطون لواته وهوارة .

٤ - النشاط الحرفي :

غلب على المغاربة والأندلسيين عدة حرف أهمها غزل الصوف ودبغ الجلود وذلك لما توفر لهم من كثرة الحيوانات [٦] كما اشتهر المغاربة والأندلسيون بطحن

---

(١) السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٥ هـ ، ج٩ ص ١٩٩ / ٢٠٠

(٢) النابسي ، تاريخ الفيوم وبلاده ، ٥٢ -٥٥ -٨١-٨٢-٩٩-١٠٠-١٢٧-١٧١-١٧٢ ،

(٣) ابن الجيعان ، التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ، قدمه وعلق على حواشيه ، ب – موريتز – القاهرة ، ١٩٢٩ ص ١٣٨

(٤) ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار ج ٥ ، ص ١١ .

(٥) ابن الجيعان ، التحفة السنية ص ١٨٩

(٦) البكري ، المغرب في ذكرى بلاد المغرب ، ص ٥ ، أبو الفدا ، تقويم البلدان ، اعتني بتصيحه وطبعه ، م ريتود ، والبارون دي سلان ، باريس ١٨٤٠ م ، ص ١٢٧

الغلال مستخدمين الإبل والأبقار في إدارة الطوحين [1] إضافة إلى ما سبق فقد احترف بعض المغاربة مهنة الخياطة مثل أبي الرضا على بن زيد بن علي البرقي التسارس [2] ثم الإسكندري [3] .

كذلك فتح الدين محمد بن يوسف بن احمد بن عبد الدائم الزواوي ثم القاهري(ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م) [4] وأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن يوسف التونسي الأصل نزيل البرلس والقاهرة المتوفي ٨٨٨ هـ / ١٤٨٣ م [5] واشتهر أبو العباس أحمد الحراري الأندلسي الإشبيلي نزيل القاهرة بحرفة نسج الحرير وتركيب زنانير الحرير وكان هذا العمل هو مصدر رزقه حتى وفاته[6] .

إضافة إلى ما سبق فقد عمل المغاربة والأندلسيون في دار الضرب مثل شهاب الدين أحمد الأندلسي المالقي الذي عمل في دار ضرب السكة بالإسكندرية عام ٧٩٧ هـ / ١٣٩٥ م مع صديقه زكي الدين أبي بكر ابن الموازيني فكانا يقومان بوضع

---

(١) البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ٥ ، أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ١٢٧ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٥٥ .

(٢) تَسارَس : قصر ببرقة ، ياقوت الحموي ، ج٢ ، ص ٢٩ .

(٣) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق بشار عواد معروف ، محي طلال سرحان ، مؤسسة الرسالة بيروت . ١٩٨١ -١٩٨٥م ج٢٣ ص ٩٢ ،ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٨٥ م ،ص ٥ ص ٢١٢ .

(٤) السخاوي ، الضوء الامع ، ج٨ ، ص ١١٧

(٥) السخاوي الضوء الالمع ج٨ ، ص ١١٧

(٦) ابن الزيات ، الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرافتين الكبرى والصغرى مكتبة المثنى بغداد ، (د – ت) ص ١٥١ -١٥٥ .

المنصهر من المعدن أو السبيكة في القالب – أو الدولاب – المعد لاعطاء العملة الشكل المطلوب والكتابة المطلوب نقشتها عليها[١] .

والصانع صبيح بن عبد الله التكروري المحترف لصناعة الكلوتات وهي أغطية الرأس للأرستقراطية العسكرية المملوكية وهو من نزلاء القاهرة ثم دمشق وتوفي عام ٧٣١هـ / ١٣٣٠ م والذي أعتق نفسه من عبودية الرق بخمسمائة درهم جمعها من صنعة الكلوتت [٢]

والقباني أحمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني صانع الموازين وكان يكتسب بهذه الصناعة[٣] وأيضا شعبان بن علي بن أحمد المغربي الزواوي ثم القاهري القباني المتوفي عام ٨٩٣هـ / ١٤٨٩ م [٤]، والذي كان ماهرا في صناعة الموازين مثل أبيه وأخيه محمد المتوفي ٨٦٠هـ / ١٤٥٦ م [٥] لذلك تولى شعبان بن علي مشيخة القبابين حوالي عام ٨٥٠هـ / ١٤٤٦ م، وذلك بعد استدعي لإصلاح موازين الوجه البحري، فأنجز المهمة لسابق خبرته في هذا الشأن إذ إنه كان قد صنع بضع عشر قبانا (يعني مائة ألف رطل) [٦].

---

(١) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، م ٥ ، ج٢ ص ٤٠٥ -٤٠٦ المقريزي السلوك في معرفة الملوك ج٣ قسم ٢ ص ٨٣٤ ومما يذكر في عام ٧٩٧ هـ / ١٣٩٥ م صدر حم ضد شهاب الدين أحمد، وابن الموازيني يتغريمهما مبلغ جملته الف ألف درهم لتورط الاثنين بقضية رشوة .

(٢) ابن حجر، الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة القاهرة ١٩٦٦ - ١٩٦٧ م، ج٢ ، ص ٣٠٤ ،ماير (ل .أ) الملابس المملوكية ترجمة صالح الشيتي مراجعة عبد الرحمن فهمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٢ م ص ٥٥

(٣) السخاوي، الضوء اللامع ، ج١ ، ص ٢٥٦

(٤) السخاوي، الضوء اللامع ، ج ٨ ص ٣٠٠

(٥) السخاوي ،الضوء اللامع ، ج٣ ، ص ١٧٠

(٦) السخاوي، الضوء اللامع ، ج٣ ، ص ٣٠٠

٥- النشاط التجاري :

كان لهذا النشاط الصفة الغالبة على نشاط معظم المغاربة والأندلسيين الوافدين إلى مصر وذلك للمكاسب التي كانت توفرها لهم مستخدمين الطرق التي كانت تربط بلاد المغرب بمصر، حيث كان هناك الطريق البحري الذي يربط بين موانى الأندلس والشمال الإفريقي ومصر عبر البحر المتوسط ثم الطريق الصحراوي عبر الوحات المنتشرة في أنحاء الصحراء الإفريقية الكبرى [١] ،وقد أسهب الجغرافيون والرحالة في وصف مراحل هذه الطرق بدقة أمثال الإصطخري [٢] وابن حوقل [٣] والبكري [٤] .

ومن الرحالة ابن جبير الذي سلك الطريق البحري في أول قدومه إلى بلاد المشرق[٥]، وايضا ابن بطوطة الذي اسهم في وصف مراحل الطريق الساحلي عبر أراضي المغرب[٦] ، أما الرحالة التجيبي فقد انفرد بوصف دقيق لمراحل الطريق

---

(١) أدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٧ م، ج ٢ ص ٣٥٤ -٣٥٥-٣٦٨-٣٦٩ ،عز الدين احمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ، دار الشرق القاهرة ١٩٨٣ م، ص ٣٠٥-٣٢٢ .

(٢) الإسطخري ، المسالك والممالك ص ٤٦ وما بعده.

(٣) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٦٢ -٦٥ .

(٤) البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ٢ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ، ٤٩ وغيرها.

(٥) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، تقديم محمد مصطفى زيادة ، دار الكتب المصري ، دار الكتاب اللبناني (د .ت) ص ص ٤١-٤٤ . وانظر حديثه عن حركة الريح وأثرها في تنشيط الملاحة في البحر المتوسط خلال الاعتدالين ص ٢١٦، ٢١٧

(٦) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، تحقيق وتعليق على المنتصر الكتاني ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٥ م، ص ٣٠ ٣٠-٣٧ .

الصحراوي من قوص إلى عيذاب على ساحل البحر الأحمر وذكر منها ٢٥ موضعا والصعاب التي واجهها من سكان تلك النواحي [١] .

وقد كانت هذه الطرق آمنة معظم الوقت – باستثناء بعض الفترات التي تعرض فيها الطريق البحري لتهديد أساطيل القوى المسيحية الأوروبية أثناء الوجود الصليبي ببلاد الشام ثم في جزيرتي قبرص ورودس [٢] ،لذلك انصب اهتمام التجار المغاربة والأندلسين بشكل رئيسي على الطرق البرية .

أما عن شبكة الطرق التي استخدمها المغاربة والأندلسيون لتسير تجارتهم داخل مصر وصولا إلى البحر الأحمر ثم إلى بلاد المشرق، نجد شبكة من الطرق غطت جميع مدن مصر وقراها من الإسكندرية إلى أسوان، حيث كانت القوافل التجارية القادمة إلى مصر سواء عن طريق البحر أو الساحل تحط أولا في مدينة الإسكندرية[٣]، ومنها تتابع سيرها إلى الفسطاط إما بطريق النيل عبر خليج الإسكندرية المتصل بفرع رشيد وإما بطريق البر حيث كانت القوافل تخترق مدن الدلتا [٤] ،وتتجه جنوبا إلى مدن

---

(١) التجيبي ، مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق عبد الحفيظ منصور ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا تونس ١٩٧٥ م ، ص ١٩٦ -٢١٨

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج٢ ص ١١٧١

(٣) البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ٨٦ ،يؤكد على ذلك البكري في وجود ميناء يسمى بميناء الأندلسيين يقع على الطريق الساحلي مما يلي الإسكندرية غربا وأكد على أنه كن أقرب للإسكندرية

(٤) سار في هذا الطريق البري عبر الدلتا كل من ابن جبير ، الرحلة ص ٤٧ ،ابن بطوطة الرحلة ص ٤٤ - ٥٠ .

الصعيد حتى مدينة قوص [١] أو أسوان [٢] اللتين كانتا ملتقى قوافل التجارة المغربية القادمة إلى مصر عبر طريق الواحات ومن هاتين المدينتين كان التجار يتابعون رحلتهم عبر صحراء عيذاب إلى ميناء عيذاب على ساحل البحر الأحمر المواجه لجدة[٣]، وضعف هذا الطرق عندما أعاد الظاهر بيبرس تسير القوافل الحج والتجارة عبر سيناء بدروبها المختلفة [٤] .

كما ازدهر الطريق الساحلي مع اهتمام سلاطين المماليك بدرب الحاج المغربي نظرا لاهتمام سلاطين المغرب بذلك فقد ارسلت المراسلات بينهم إلي الاطمئنان على الركب على طول الطريق [٥] . وتمثل هذه المراسلات حماية وتشجيع التجار المغاربة على

---

(١) قوص : مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر وتقع على الجهة الشرقية من النيل وأهلها أرباب ثروة واسعة لكثرة ما يفد عليها من التجار القادمين من عدن التي تبعد عنها مدة خمسة أيام ،ولها أسواق جامعة والبضاعة بها نافقة ويكثر بها الحبوب واللحوم ويكثر بها المدارس والمساجد والحمامات. للمزيد انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤ ص ٤١٣ ،محمد رمزي القاموس الجغرافي ج٤ ص ١٨٧ -١٨٨ .

(٢) أسوان : مدينة كبيرة في آخر صعيد مصر، وأول بلاد النوبة على الجهة الشرقية من النيل، وبها سوق لبيع وشراء المنتجات الواردة من مصر لتصديرها إلى السودان، ومن السودان لمصر ويكثر بها الحنطة وسائر أنواع الحبوب والفواكه وسائر أنواع اللحوم والسمن مع رخص أسعارها، للمزيد انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج١ ص ١٩١ -١٩٢؛ محمد رمزي القاموس الجغرافي، ج٤ ص ٢١٦-٢١٧ .

(٣) المقريزي : الخطط، ج ٢ ص ٢٦٥ -٢٦٧ .

(٤) الحميري : الروض العطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عبس ، مكتبة لبنان ١٩٨٥ م ص ٤٢٣ -٤٢٤، التجيبي، مستفاد الرحلة، ص ١٦٨ و١٧٥ و١٨٦ و٢١٨، ابن بطوطة، الرحلة، ص ٧٣-٧٠ .

(٥) ابن خلدون : العبر، ج١٣ ، ص ٤٦٧ -٤٦٨ .

ممارسة أعمالهم في سهولة ويسر، وتذليل كافة العقبات أمامهم، ولعل ذلك قد شجع التجار المغاربة والأندلسيين على الوجود بمصر، وممارسة أعمالهم بيسر ولذا زاد عددهم، والدليل على ذلك وجود أسواق خاصة بهم في الفسطاط مثل سوق بربر [1] وسويقة المغاربة [2]، وانتشار هذه الأسواق بمصر أكبر دليل على مدى كثرة التجار المغاربة بمصر واعتناء السلاطين المتعاقبين بحمايتهم.

لذلك كله فقد كثر الوافدون المغاربة والأندلسيون إلى مصر أو للتجارة والحج ومن هؤلاء أبو على الحسن بن علي بن منتصر الفاسي ثم الإسكندراني الكتبي المتوفي في شهر ربيع الآخر من سنة ٦٦١ هـ/ فبراير/ ١٢٦٣ م [3]. واشتهر الشيخ عز الدين محمد بن أحمد بن عثمان التكروري بتجارة الكتب وكان له حانوت يبيع فيه الكتب بسوق الكتبيين حتى توفي في سنة ٨٥٧ هـ/ ١٤٥٣ م بعد أن صار شيخا للكتبية بمصر [4].

وحرصاً على الربح الوفير اقتصر ابو الجود داود ابن سليمان بن حسن المصري (ت ٨٦٣هـ/ ١٤٥٩م) على الاتجار في الكتب مع المغاربة والتكارة نزلاء مصر أو

---

(١) المقريزي، الخطط، ج ١٣ ص ٤٦٧، ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الامصار، ج٤ ص ٣٢.

(٢) المسبحي، أخبار مصر في سنتين (٤١٤-٤١٥ هـ) تحقيق وليم ج ميلرد، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٠ م صفحات ٣٨و١٨٦و٢١٦، ابن دقماق، الانتصار لوساطة عقد الامصار، ج٤ ص ٢٦، ٣٢، ١٠٥.

(٣) الذهبي، العبر في خبر من غبر ج٣ ص ٣٠١-٣٠٢، ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥ ص ٣٠٥.

(٤) ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٠ ح١٦ ص ١٦٥، السخاوي: الضوء اللامع، ح٧ ص ٢-٣.

الوافدين منهم على مصر في مواسم الحج [1] . واتسعت دائرة النشاط التجاري لإبراهيم بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن الطويجن الغرناطي بحيث شملت إلى جانب مصر بلاد المغرب والشام والعراق واليمن وأعماق الصحراء الأفريقية الكبرى إلى أن توفى بمدينة تمبكتو من بلاد التكرور الواقعة على نهر النيجر سنة ٧٣٩ هـ/ ١٣٣٨ م [2] .

واشتهر عن أبي جعفر أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن جابر الانصاري الغرناطي (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨ م) أنه كان " يتكسب من التجارة في القطن " وذلك خلال رحلته للحج التي زار مصر أثناءها في سنة ٦٩٥ هـ (١٢٩٦ م)[3] وخلال رحلته إلى المشرق سنتي ٧٢٠ هـ ٧٣٤ هـ/ ١٣٢٠ م ١٣٣٤ م تجول شمس الدين محمد بن حاجر بن محمد ابن قاسم الأندلسي ثم التونسي " في البلاد المشرقية والمغربية .... وكان يتصرف في شيء يسير من المال والتجارة " وقد توفي بتونس في شهر ربيع الأول من سنة ٧٤٩ هـ/ يونيه ١٣٤٨ م[4] وعلى غير المعتاد اشتهر أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن السجلماسي المعروف بابن الحفيد (ت ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧ م) بشراسة خلقه وهو ما يتنافى مع حرفة التجارة التي مارسها خلال رحلته للحج وتنقل

---

(١) السخاوي : الضوء اللامع ، ح٣ ، ص ٢١١ - ٢١٢

(٢) ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٧٥ م ، ج١ ص ٣٢٩ .

(٣) ابن حجر : الدرر الكامنة ، ح١ ، ص ١٨٩ - ١٩٠

(٤) ابن حجر : الدرر ح ٤ ص ٣٣ - ٣٤ ، الحميري : الروض المعطار ، ص ٦٠٤ - ٦٠٥

بسببها بين القاهرة وحلب وبغداد قبل أن يعود إلى القاهرة ثم حلب التي ولي قضاء المالكية بها واخيرا غزة والقدس التي توفى بها [1] .

وقدعمل أبو على محمد بن أحمد بن علي ابن عبد العزيز المهدوي المعروف بابن المطرزة اشتهر بتجارة البز (الثياب الحريرية) وصار يعرف بالبزاز حتى توفي في شهر جماي الأولى من سنة ٧٩٧ هـ/ مارس ١٣٩٥ م [2] .

وبالنسبة لأسرة ابن التنسي المغربية التي تولت قضاء المالكية بالإسكندرية وبديار مصر جميعها فقد عمل معظم أفرادها بحرفة التجارة إلى جانب تقلدهم لوظيفة القضاء حتى إن عميدهم ناصر الدين أحمد بن التنسي أول من تولى قضاء المالكية بمصر من أفراد هذه الأسرة كان " كثير العناية بالتجارة " وأدى به ذلك إلى أن " حمدت سيرته فإنه كان غنيا ومعيشته من متجره " [3] .وعمل حفيده شهاب الدين أحمد بن شمس الدين محمد بن ناصر الدين أحمد ابن التنسي على إشباع رغبته في ممارسة التجارة فاستأذن والديه وسافر إلى الإسكندرية بقليل من المال فنتج ولا زال يرتقي حتى عد من ذوي الوجاهة ثم وسع دائرة تجارته بالسفر خلال سنة ٨٤٠ هـ/ ١٤٣٦ م الى الحجاز واليمن ومدن الشام ويبدو أنه اعتمد على مصاحبة كبار موظفي الدولة من أجل إنجاح تجارته مما أوقعه في دائرة الغضب نتيجة تغير طباع هؤلاء الموظفين وذلك قبيل وفاته في شهر المحرم من سنة ٨٩٧ هـ/ نوفمبر ١٤٩١ م [4] .

---

(١) ابن حجر : الدرر ، ج٢ ، ص ٤٥١ -٤٥٢، ابن العماد : شذرات الذهب ، ح٦ ، ص ٣٠٨

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ، ح ٦ ص ٣٥٠ ، البز (بالفتح) الثياب ويقال لبائع الثياب البزاز وحرفته البزازة ، راجع ابن منظور، لسان العرب، ح ٧ ص ١٧٥

(٣) ابن حجر ، رفع الاصر عن قضاة مصر ، ق ١ ، ص ١٠٧ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ح٢، ص ١٥٢ - ١٥٣

(٤) السخاوي : الضوء اللامع ، ج٢ ، ص ٨٩ - ٩٠

ومن أشهر التجار المغاربة في العصر المملوكي : التاجر داود المغربي نزيل القاهرة والذي كان على قدر كبير من الثراء بسبب تجارته فيما بين مصر وبلاد المغرب وأصبح من كبار تجار العاصمة حتى توفي في شهر صفر من سنة ٨٥٤هـ/ مارس ١٤٥٠ م[١] ومما يذكر عن التاجر داود المغربي أن أحد مراكبه تعرض للحريق العمد بواسطة بعض القراصنة القطلانيين – من نصاري إسبانيا – أثناء إغارتهم على ميناء الإسكندرية في شهر شوال من سنة ٨٣١هـ/ يوليه ١٤٢٨م[٢].

ونظراً للخبرة التجارية التي اكتسبها الأخوان التونسيان الأصل ثم السكندريان : أحمد والكمال محمد ابنا عبد الرحمن بن منصور الفكيري – نسبة لقبيلة من بلاد المغرب – من خلال عملهما كشهود بجمرك الإسكندرية ودمياط وغيرهما من الثغور المصرية فقد عمل الأخوان في التجارة واتخذ الأول من مدينة الإسكندرية مركزا له بينما استقر الأخ الثاني في مدينة دمياط[٣].

وأدت شهرة إبراهيم بن عبد الملك بن إبراهيم الأندلسي- نزيل الإسكندرية في مجال التجارة إلى اختياره للإشراف على تجارة السلطان الأشرف قايتباي بميناء الإسكندرية وأصبح يعرف بتاجر السلطان إلا أنه عمد إلى تحويل معظم تركته – قبيل وفاته في سنة ٨٨٠ هـ/ ١٤٧٥ م إلى أحد أقاربه ببلده بالأندلس، ويدعي أبا عبد الله محمد بن أبي القاسم الأندلسي وارسل إليه يطلب حضوره إلى مصر- لتسلم الثروة

---

(١) السخاوي ، الضوء اللامع ، ح٣ ، ص ٣١٧ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، ح٢ ، ص ٢٧٨

(٢) العيني : عقد الجمان ، ص ٣٣٥ – ٣٣٦ ، الصيرفي : نزهة النفرس ، ح٣ ، ص ١٣٣

(٣) السخاوي : الضوء اللامع ، ج١ ، ص ٣٢٥ ، ج٨ ، ص ٤٤-٤٥.

خشية ان تصادرها الدولة[1] وقد حدث أن حضر قريبة أوب عبد الله محمد الأندلسي- الى مصر في سنة ٨٨٣هـ / ١٤٧٨ م ليحوز على ميراث إبراهيم المذكور إلا إنه لم ينل شيئا سوى محاولة السلطان قايتباي استرضاءه بتوفير راتب شهري له، ثم أقره في متجره السلطاني بالإسكندرية مكان قريبة إبراهيم[2] بيد أن أبا عبد الله الأندلسي ابتلي بحسد الحاسدين الذين نجحوا في عزله عن مباشرة المتجر السلطاني، وعرضوا مبالغ مالية كبيرة لتولى هذه الوظيفة بدله وكان منهم أحد المغاربة نزلاء مصر- ،وهو زين الدين عمران بن غازي المغربي، الموصوف بأنه أحد التجار المتمولين [3] مما أدى إلى إصابة أبي عبد الله الأندلسي باكتئاب اعتزل معه الحياة العامة ولزم الفراش حيث زادت عليه الأمراض إلى أن توفي بمنزله ببركة الرطلي [4] بالقاهرة في ليلة الاثنين ٢٣ شعبان سنة ٨٩٢ هـ / أغسطس ١٤٨٧ م فصودرت تركته كذلك [5] . ويبدو ان التاجر (حامد المغربي المعروف بالتاجر السفار قد ركز نشاطه في آخريات حياته بمكة محاولا الجمع بين حرفته والمجاورة ببيت الله الحرام ولهذا ستأجر بيتا بسويقة مكة من أوقاف السيد حسن بن عجلان أحدج الأشراف هناك حتى توفي في شهر شوال من سنة ٨٨١ هـ (فبراير ١٤٧٧ م)[6] .

---

(١) السخاوي : الضوء اللامع ، ح١ ، ص ٧٢ -٧٣ ، الحميري : الروض المعطار ، ص ٦١.

(٢) السخاوي الضوء اللامع ، ح ٨ ، ص ٢٨٩ ، ح ١١ ، ص ١٣٧.

(٣) السخاوي ، الضوء اللامع ، ح ٦ ، ص ٦٣ – ٦٤ .

(٤) بركة الرطلي توجد بأرض الطبالة بالقاهرة وتسميت بذلك نسبة إلى احد باعة أرطال الموازين وكانت من متنزهات القاهرة ، انظر : المقريزي ، الخطط ، ح ٢ ، ص ١٦٢ .

(٥) السخاوي ، الضوء اللامع ، ح٨ ، ص ٢٨٩ – ٢٩٠ .

(٦) السخاوي، الضوء اللامع ، ح٣ ، ص ٨٨ .

ورغم أن التاجر سعد بن إبراهيم بن محمد الأندلسي نزيل مصر والمتوفي بها في شهر شوال من سنة ٨٩١ هـ - أكتوبر ١٤٨٦ م اجتهد في تحصيل ثروة لا باس بها من ممارسته لحرفة التجارة واضطر خلالها التقتير على نفسه [١] وإن هذه الثرورة قد تبددت لعدم توفيق ابنه ابي المكارم ابراهيم بن سعد الأندلسي المعروف بابن الحربي وبابن الصباغ في عقد صفقات تجارية ناجحة رغم مباشرته لهذا الأمر بنفسه وسفره خصيصا إلى الإسكندرية وقد مات الابن سريعا في اوائل سنة ٨٩٣ هـ / ١٤٨٨ م وتفرقت التركة ولم يفده إمساكه وحرصه كأبيه [٢] .

وأثر دخول العثمانين مصر ظهر واضحا الوجود التجاري لجماعات المغاربة والأندلسيين من خلال مصادرة اموال العديد منهم وكذلك محاولة العثمانيين ترحيل أعداد منهم إلى اسطنبول إلى جانب خيرة الصناع والحرفيين المصريين للاستفادة منهم في حاضرة الدولة العثمانية [٣] وقد تعرض بعض التجار المغاربة للغرق عند نقلهم بمركب عبر النيل إلى الإسكندرية تمهيدا لسفرهم إلى اسطنبول / في ١٨ ربيعي الاخر ٩٢٨ هـ / مارس ١٥٢٢ م [٤] .

إلى جانب ذلك كان للتجار المغاربة والأندلسيين لهم دور في تجارة الكارم ومن هؤلاء: جمال الدين محمد بن مسعود بن صالح بن أحمد الزواوي المكي نزيل القاهرة والمتوفي في شهر ذي الحجة من سنة ٨٥٩هـ / نوفمبر ١٤٥٥ م والذي أثرى من التجاره في الكارم وبسبب اعفائه من ضريبة العشر على بضائعه عند دخولها ميناء جدة

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع ، ح٣ ، ص ٢٤٧ .

(٢) السخاوي، الضوء اللامع ، ح١ ، ص ٥١ .

(٣) ابن إياس . بدائع الزهور ، ح٥ ، صفحات ١٧٨ و١٨٢ و٢٣١ و٣٥٤.

(٤) المصدر نفسه : ح٥ ، ص ٤٤٢.

لاعتقاد صاحب مكة في ابيه [1] . ومساعد بن حامد بن مساعد المغربي المصراتي الذي تعاني التجارة وتردد إلى الحجاز مرارا وكانت أغلب إقامته بمصر ومات بالهند بعيد سنة ٨٧٠ هـ / ١٤٦٥ م [2] ومحمد بن محفوظ المغربي المعروف بالخواجا [3] لاتجاره في الرقيق والبهار وقد أرسله السلطان الاشرف قايتباي في مهمة خاصة إلى ملك القطلاني الاسباني خلال شهر ذي الحجة من سنة ٨٨٣هـ / مارس ١٤٧٨ م [4] .ومن نوادر ما ذكره السخاوي : أن التاجر محفوظ بن مبارك بن منصور المغربي قد اصطحب معه ابنته في إحدى رحلاته التجارية إلى الهند دون الخوف عليها من أخطار الطريق حيث تزوجت هناك من أحد تجار الكارم، وقد التقى السخاوي بالتاجر محفوظ المغربي وابنته أثناء مرورها بمصر واطمأن على حفظ الابنة لموطأ الإمام مالك ابن أنس كاملا [5] أما التاجر شمس الدين ابن التونسي الذي كان من كبار تجار الرقيق في وقته فقد تعرض لحادث أليم راح ضحيته بمدينة بعلبك بمنطقة الشام وذلك في يوم الثلاثاء ١٠ جمادي الآخرة من سنة ٨٩٩ هـ / إبرايل ١٤٩٣ م [6] .

---

(١) السخاوي : الضوء اللامع ، ح ١٠ ، ص ٥٠ .

(٢) السخاوي ، الضوء اللامع . ح ١٠، ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٣) ٠ خواجا تطلق على كبار تجار الرقيق والبهار في ذلك العصر ، انظر : القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، القاهرة (د. ت) ح٦ ، ص ١٣ ، ٦٩ ، ٧٣ ،محمد قنديل البقلي : التعريف بمصطلحات القلقشندي ،عالم الكتب القاهرة ١٩٨٦ م ، ص ١٢٤.

(٤) السخاوي الضوء اللامع ، ٣ ، ص ١٥٠

(٥) السخاوي : الضوء اللامع ، ح ١١٢ ، ص ١٦٤

(٦) ابن طولون ، مفاكهة الخلان ، ق ١ ص ١٦٠ .

وقد نتج عن هذا النشاط التجاري لجماعات المغاربة والأندلسيين بمصر- أن العديد من منتجات بلادهم قد عرفت طريقها إلى الأسواق المصرية ،وذلك منذ فترات زمنية سابقة على العصر المملوكي حتى قال المقدسي (ق ٤ هـ/ ١٠ م) في وصفة لمدينة الفسطاط إنها " خزانة المغرب " [١] ومن أهم هذه المنتجات : الزيتون الذي كان يزرع في زويلة المهدية ويتجهز بزيته ويتجه الى سائر بلاد الشرق [٢] .

كذلك زيت صفاقس وزيت برقة [٣] وزيت قابس الذي يباع ٢٥ رطلا منه بدينار [٤] ولرخص سعره بالأسواق قال أحد التجار: إنا لا أبيع زيتا حتى يتحسن الوضع قليلا. وكان الطلب على فستق قفصه وشط الجريد [٥] يتزايد في الأسواق المصرية وبخاصة في شهر رمضان من كل عام ،حيث تستخدم هذه السلعة في الأطعمة والحلوى التي يكثر الناس من أكلها في هذا الشهر مثلما حدث في شهر رمضان من سنة ٧٨٨ هـ/ اكتوبر ١٣٨٦ م [٦] أما القمح والغلال فكان يتجهز بها من موانى المغرب

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١٩٧

(٢) الإدريسي : صفة المغرب (تحقيق دي غويه) ص ١٠٩ ، وعن الوصف الجغرافي لزويله المهدية – التي هي ضاحية لمدينة المهدية على ساحل البحر المتوسط من أعمال افريقية انظر البكري : المغرب ، ص ٢٩ – ٣٠ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٧٠ ، البكري : المغرب ، ص ٢٠

(٤) الإدريسي : صفة المغرب ص ١٠٦ .وعن ازدياد الطلب على زيت الزيتون وارتفاع أسعاره في الأسواق المصرية. المصرية. انظر المقريزي السلوك ح ٤ ق ١ ص ١٩٣

(٥) البكري : المغرب ص ٤٧، القلقشندي : صبح الأعشى ، ح ٥ ، ص ١٠٧

(٦) ابن إياس : بدائع الزهور ، ح ١ ، ق ٢١ ، ص٣٧٦

إلى مصر خاصة في أوقا ت الازمات [١] وبلغ سعر الاوقية من العنبر الأندلسي- في أسواق المرية عشرين دينارا وذلك لجودة نوعه [٢] .

وقد شاعت بمصر أنواع معينة من الثياب مغربية الصنع وكان منها الشقق النفوسي، والمغربي المقصور أو المقور [٣] ،والثياب والعمائم السوسية، نسبة لاقليم السوس بالمغرب الاقصى المصنوعة من الكتان المصري المصدر إليها من مصر، ثم يغزل بالذهب ويعاد تصديره لمصر- [٤] والثياب الصوفية والعمائم أو المآزر المصنوعة في أغمات [٥] والثياب الصوفية من قابس [٦] ،وصفاقس [٧] ،ويلاحظ أن الحرير المغربي المغربي كان يباع في أسواق مصر بسعر مرتفع عن نظيره المصري، إذ بينما كان سعر

---

(١) الإدريسي : صفة المغرب ، ص ١٨٧

(٢) المقري، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر بيروت ١٩٦٨ م ، ح ١ ، ص ١٣٩

(٣) أرشيبالد لويس : القوي البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة احمد محمد عيسى ومراجعة د محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .

(٤) -البكري : مصدر سابق ، ص ٣٢٦ ابن دقماق مصدر سابق ج ٥ ص ٣٢

(٥) أغمات ، ناحية في بلاد المغرب قرب مراكش كثيرة الخير والفاكهة، يحمل منها إلى جميع الآفاق. ياقوت الحموي معجم البلدان، ج ١ ص ٢٢٥

(٦) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٧٠ ، البكري : المغرب ، ص ١٧ الإدريسي : صفة المغرب ص ١٠٦

(٧) أرشبيلد لويس : القوى البحرية والتجارية ص ٣٢٩، ولاحظ الإشارة إلى أن أقمشة صفاقس الحريرية قد فاقت فاقت - من حيث الجودة - نظيرتها المصنوعة في الإسكندرية رغم أن الأخيرة كانت الأصل الذي اقتبس منه أهل صفاقس فكرتهم .

رطل الحرير الطبيعي المعمول بمصر يساوي دينارا واحدا فقط كان سعر الرطل من نظيره المغربي يساوي دينارا ونصف، وقد بيع الرطل من الحرير الصقلي في السوق المصري آنذاك بحوالي دينار ونصف [1] .

وحازت الخيول المغربية شهرة كبيرة في الأسواق المصرية بحيث فضلها سلاطين المماليك على المنتجات المغربية الاخرى كالثياب مثلا ،وصاروا يتوقعون وصول أعداد منها كهدايا من نظرائهم سلاطين المغرب، مع قدوم قافلة الحج المغربي كل عام ومما يذكر في هذا الشأن البعثة التي أرسلها السلطان المملوكي الظاهر برقوق إلى المغرب خصيصا لشراء أعداد من خيل المغرب، وهي البعثة التي عادت إلى مصر- بحوالي ثلاثمائة جواد في سنة ٨٠٠ هـ / ١٣٩٨ م وأرسل السلطان الاشرف برسباي رسالة إلى نظيره سلطان تونس أبي فارس عبد العزيز الحفصي ،يطلب منه التدخل لمنع التجار المغاربة من حمل ثياب النساء الحريرية إلى مصر واستبدالها بمستلزمات الخيل وقد وصل الرد بالموافقة على هذه الرسالة مع ركب الحج المغربي الذي قدم مصر- في العشرين من شهر شوال سنة ٨٣٨هـ، / يونيه ١٤٣٤ هـ [2] .

ومن هذه الواردات أيضا : جلود النمور والبقر، التي كانت تصل إلى برقه من أوجلة وتتجهز بها المراكب القادمة من الإسكندرية [3] ،وجلود اللمط وقرونه التي

---

(١) مجهول، الاستبصار ، ص ٧٣ ، عطيه القوصي : تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية ، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٦ م ، ص ٢٢٠ .

(٢) المقريزي : السلوك ح ٤ ق ٢ ص ٩١٨ ،. ٩١٩ ، الصيرفي : نزهة النفوس ، ح ٣ ص ، ٢٩٨ .

(٣) الإدريسي : صفة المغرب ،ص ١٣١

كانت تأتي من مدينة مطة بالسوس الأقصى، وكانت هذه المدينة تشتهر بالدرق المتخذة من جلود البقر المسمى باللمط [١] وكانت السفن تحمل من برقة القطران الجلود للدباغة بمصر ومن قصر طلميثه بليبيا – كان يصدر الكتان والعسل والقطران والسمن إلى الإسكندرية [٢] وأيضا معدن الكبريت [٣] ،ومن الأندلس كان الزيت يصدر من إشبيلية إلى الإسكندرية [٤] ،والزئبق من قرطبة [٥] ،والوشي من مالقة والمرية[٦] ،والتين من مالقة حيث كان يحمل إلى مصر والشام والعراق وربما وصل إلى الهند[٧].

كما أن بضائع الشرق خاصة التوابل والعطور والبخور كانت من اهم السلع التي حرص تجار المغرب والاندلس على نقلها عبر مصر إلى بلادهم، وهو أمر أدى إلى كثرة المعروض من هذه المنتجات في الأسواق المصرية وإلى كثرة المجلوب من الفلفل وكذا القرفة وغيرها من سلع المشرق[٨] والتي كانت تنتقل إلى أوربا أو المغرب والأندلس.

---

(١) مجهول، الاستبصار ص ١٢-١٤ البكري ، المغرب ص ١٧١

(٢) المقرى : نفح الطيب ، ح ٤ ، ص ١٩٩

(٣) الإدريسي : صفة المغرب ،ص ٢١٣

(٤) -المقري ، نفح الطيب ح ٤ ص ١٩٩

(٥) -الإدريسي، صفة المغرب ص ٢١٣

(٦) المقري : نفح الطيب ح ٤ ، ص ٢٠٦ – ٢٠٧

(٧) الإدريسي : صفة المغرب ، ص ٢٠٠

(٨) ابن جبير : الرحلة ص ٦٣

الخاتمة

أدى موقع مصر أهمية واضحة في علاقاتها التجارية الخارجية مع بلدان الشرق والغرب فهي تقع على مفترق طرق التجارة الدولية التي تربط الشرق بالغرب مما ساعد على ازدهار التجارة الخارجية إذ أصبحت مقصد التجار المغاربة والأندلسيين، وأسهمت العوامل الطبيعية في قيام زراعة ناجحة في الفيوم والصعيد، حيث كانت مصدراً لسد احتياجات القاهرة من الكثير من المحاصيل الزراعية مثل القمح وغيره .

وعلى ضوء ما سبق ذكر في الصفحات السابقة يتضح الاهتمام الكبير الذي أولاه السلاطين المماليك لاستقرار نظام الحكم والقضاء على الاضطرابات التي ألمت بالبلاد، وهذا الاستقرار شجع الكثير من الهجرات المغربية والأندلسية إلى مصر .

وأظهرت الدراسة مدى مشاركة المغاربة والأندلسيين للمصريين في كافة الأنشطة سواء كانت زراعية أو تجارية ،كما أثبتت الدراسة مدى استقرار المغاربة وغيرهم في شرق وجنوب البلاد، إضافة إلى دورهم التجاري الواسع نتيجة ما يدره من أرباح.

كما أثبتت الدراسة أن المصريين والمغاربة تعرضوا للكثير من المعوقات التي أثرت على حركتهم الاقتصادية إلا أنهم تحالفوا لمواجهة هذه المعوقات .ويلاحظ أيضا تشكيل المغاربة والأندلسيين كتلة بالواحات والفيوم وجرجا وما حولها وشكلوا كتلة حظيت بامتيازات أهلتهم للقيام بدور رئيسي في تلك الأماكن كما يلاحظ مدى قوة الدولة المملوكية في سطيرتها على هؤلاء المغاربة وقبائلهم واستمالتهم لصالحها .

كما نجد للمغاربة والأندلسيين الدور الفعال في التجارة وخاصة تجارة الكارم ومدى ازدهار نشاطهم بين الشرق والغرب، مستغلين مدى تسامح الدولة المملوكية

معهم إضافة إلى امتهان الكثير منهم عدة حرف أدت إلى الرو اج الاقتصادي بالأسواق المصرية إضافة إلى المواد التجارية التي اشتهرت بها البلاد المغربية مثل الأقمشة والقمح وزيت الزيتون والحرير، إضافة إلى مواد أخرى كان لها الـرواج في الأسـواق المصرـية مستغلين ما قدمه السلاطين المماليك من تسهيلات أمنية .

ويعد موسم الحج موسماً اقتصادياً مزدهرا لأهل مصر، لما يأتي مع الحجـاج مـن تجار مغاربة واندلسيين وأيضا من بلاد التكرور للحج والتجارة معاً .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

- **ابن الآبار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي (ت ٦٥٨ هـ /١٢٦٠م).**
  - التكملة لكتاب الصلة ، نشر عزت العطار الحسيني القاهرة ١٩٥٦ م
- **الإدريسي ، الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد الله (٥٦٤ هـ /١١٦٩ م)**
  - نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، مكتبة الثقافة الدينية مصر- ١٩٩٤ م
  - ونسخة اخرى وصف المغرب وارض السودان والاندلس مستخرج من نزهة المشتاق في اختراق الافاق بعناية دوزي ودي غويه ليدن ١٨٦٦
- **ابن إياس:**
  - بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ١٩٨٢ -١٩٨٤ .
- **الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (ت ٣٣٩ هـ /٩٥٠ م)**
  - المسالك والممالك تحقيق دي غوية ليدن ١٩٢٧ م.

- **ابن بطوطه، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ /١٣٧٧م)**

  - رحلة ابن بطوطة تحقيق على المنتصر الكتاني ، الرسالة بيروت ١٩٨٥ م.

- **البكري، أبو عبدي عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت ٤٨٧هـ /١٠٩٤م)**

  - المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، نشر دي سلان مكتبة المثنى بغداد .

- **بيبرس ، ركن الدين المنصوري (٧٢٥ هـ /١٣٢٥ م)**

  - التحفة المملوكة في الدولة التركية ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية مصر ١٩٨٧

  - زبدة الفكر في تاريخ الهجرة ، تحقيق زبيدة محمد عطا ، الرياض .

  - مختار الأخبار في تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك حتى سنة ٧٠٢ هـ تحقيق عبد الحميد حمدان ، الدار المصرية اللبنانية القاهرة ١٩٩٣ م .

- **ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٥ م)**

  - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٣٦/ ١٩٧٢ م .

- الدليل الشافي على المنهل الصافي ، تحقيق فهيم محمد شلتوت و مكة المكرمة (د-ت).

- **التجيبي ، القاسم بن يوسف (ت ٧٣٠هـ / ١٣٢٩ م)**
  - مستفاد الرحلة والاغتراب تحقيق عبد الحفيظ منصور ، الدار العربية للكتاب ليبيا تونس ١٩٧٥ م

- **ابن الجيعان ، شرف الدين يحي (ت ٩ هـ / ١٥ م)**
  - التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية و تحقيق مورتيز ، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٩٧٤ م.

- **ابن جبير ، أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي البلنسي (ت ٦١٤ هـ ١٢١٧ م)**
  - تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار المعروف برحلة ابن جبير، تقديم محمد مصطفى زيادة دار الكتاب اللبناني ، دار الكتاب المصري (د – ت)

- **الحميري ، محمد عبد المنعم (تمام جمعة ٨٦٦ هـ /١٤٦٣ م)**
  - الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت مكتبة لبنان ١٩٨٥

- **ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن علي (٨٥٣هـ /١٤٤٨ م)**
  - إنباء الغمر بأنباء العمر ، تحقيق حسن حبشي- ، القاهرة ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م

- الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد سيد جاد ، دار الكتب الحديثة القاهرة ١٩٦٧ م .

- **ابن حوقل ، محمد النصيبي (٣٦٧ هـ /٩٧٧ م)**

- صورة الأرض ، الكتاب الإسلامي القاهرة بدون تاريخ.

- **ابن الخطيب ، لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني (ت ٧٧٦ هـ /١٣٧٤ م)**

- الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٧٥ م.

- **ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م)**

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (بيروت ١٩٨١).

- **ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (٨٠٩ هـ /١٤٠٦ م)**

- الانتصار لواسطة عقد الامصار ، تحقيق درفو المرز ، القاهرة ١٣٠٩ هـ .

- **الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)**

- سير أعلام النبلاء – تحقيق بشار عواد معروف ، محي طلال سرحان ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٩٨١ – ١٩٨٥ م.

- **ابن الزيات شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ناصر الدين الأنصاري (ت ٨١٤ هـ /١٤١١ م)**

  - الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرافتين الكبرى والصغرى ، مكتبة المثنى بغداد.

- **السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ /١٤٩٦ م)**

  - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٥ هـ .

- **الصيرفي ، علي بن داود بن إبراهيم الخطيب الجوهري (ت ٩٠٠ هـ /١٤٩٥ م)**

  - نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، تحقيق حسن حبشي ، القاهرة ١٩٧٠ م.
  - إنباء الهصر بأبنا العصر، تحقيق وتقديم حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٢ م.

- **طافور ، بيرو (خلال القرن التاسع الهجري /١٥ م)**

  - رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي ، ترجمة حسن حبشي ، دار المعارف مصر ١٩٦٨ م.

- **ابن طولون : شمس الدين محمد (ت ٩٥٣ هـ /١٥٤٦ م)**

  - مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، حققه وكتب المقدمة والحواشي والفهارس محمد مصطفى ، القاهرة ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م .

- **العمري ، شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله (ت ٧٤٩ هـ *١٣٤٩ م)**

  - مسالك الأبصار مصر والشام تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية القاهرة ١٩٨٥ م.

- **ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩ هـ /١٦٧٨ م)**

  - شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٨٥ م.

- **العيني ، و بدر الدين محمود بين أحمد (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م)**

  - عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، حوادث عام (٨٢٤ - ٨٥٠ هـ) تحقيق محمد قرموط ، الزهراء للإعلام العربي القاهرة ١٩٨٩ م.

- **ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي (ت ٨٠٧ هـ /١٤٠٤ م)**

  - الطريق الوضح السلوك إلى معرفة تراجم الخلفاء والملوك المعروف بتاريخ ابن الفرات، قام على نشره قسطنطين زريق ، مطبوعات الجامعة الأمريكية بيروت سنوات ١٩٣٦ - ١٩٤٢ م .

- **أبو الفدا ، عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢هـ /١٣٣٢ م)**

  - تقويم البلدان ، أعتنى بتصيحة وطبعه ، ريتود والبارون دي سلان ، باريس ١٨٤٠م.

- **القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (٨٢١هـ /١٤١٨ م)**
  - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، القاهرة (د . ت).
- **مجهول : (ت ٦ هـ / ١٢ م)**
  - الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، جامعة الإسكندرية ١٩٥٨ م
- **المسعودي ، أبو الحسن علي بن علي بن عبد الله الشافعي (ت ٣٤٦هـ /٩٥٧م)**
  - مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية مصر ١٩٦٤ م
- **المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (٨٤٥هـ /١٤٤١ م)**
  - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، القاهرة ١٩٩٤ م
  - السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٤ م .
  - البيان والإعراب عما بأرض مصر من أعراب ، تحقيق عبد المجيد عابدين ، دار المعرفة الجامعية اسكندرية ١٩٨٩ م.
- **المقدسي، أبو عبد الله محمد المعروف بالبشاري(ت ٣٨٠ هـ /٩٩٠م)**
  - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة مدبولي ، القاهرة (١٤١١هـ/ ١٩٩١ م).
- **المسبحي ، محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٢٠هـ /١٠٢٩ م)**
  - أخبار مصر في سنتين (٤١٤ -٤١٥ هـ) تحقيق وليم ج ميلورد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٠ م .

- **المقري ، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م)**
  - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت ١٩٦٨ م .
- **النابلسي ، أبو عثمان الصفدي الشافعي (ت ٦٤٣هـ / ١٣٤٥ م)**
  - تاريخ الفيوم وبلادة ، دار الجيل بيروت ١٩٧٤ م.
- **ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ /١٢٢٨ م)**
  - معجم البلدان ، دار صادر بيروت (د – ت).

ثانياً : المراجع :

- **إبراهيم طرخان :**
  - مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ، القاهرة ١٩٦٠ م .
- **أحمد عبد الحميد خفاجي:**
  - طبقة التجار في مصر المملوكية واثرها في المجتمع المصري ، مجلة كلية الآداب جامعة طنطا ، العدد الأول القاهرة ١٩٨٢م .
- **أدم متز:**
  - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ،لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٧ م .
- **أرشيبلد لويس:**
  -القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى مراجعة محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٥ م.

- **جومار :**

  - وصف مدينة القاهرة ، ترجمة بشير السباعي ، القاهرة ١٩٨٥م.

- **حياة ناصر الحجي:**

  - أحوال العامة في حكم المماليك ، الكويت ١٩٨٤ م .

- **زين العابدين شمس الدين:**

  - معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية ، القاهرة ٢٠٠٦ م .

- **سعيد عبد الفتاح عاشور :**

  - الحركة الصليبية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٦ م

- **عز الدين احمد موسى:**

  - النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ، دار الشرق القاهرة ١٩٨٣ م.

- **عطية القوصي:**

  - تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٦ م .

- **محمد رمزي:**

  - القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد القدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥ م ، القاهرة ١٩٩٣ م.

- **محمد عبد الغني الأشقر:**

- تجار التوابل في مصر في العصر- المملوكي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٥ م .

- **محمد فتحي الزامل:**

- التحولات الاقتصادية في مصر أواخر العصور الوسطى ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ، ٢٠٠٨ م .

- **محمد قنديل البقلي :**

- -التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٨٦ م.

ثالثاً : الدوريات :

- **أحمد سيد دراج :**

- الحسبة وأثرها على الحياة الاقتصادية في مصر- المملوكية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١٤ و القاهرة ١٩٦٨ م .

- **حسنين محمد ربيع:**

- وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي لموانى الحجاز واليمن في العصور الوسطى، بحث في موسوعة دراسات تاريخ الجزيرة العربية، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ج٢ طبعة الرياض سنة ١٩٧٩ م.

- عطية القوصي:

- أضواء جديدة على تجارة الكارم ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مجلد ٢٢ القاهرة ١٩٧٥ م.

رابعاً : الرسائل العلمية :

- إبراهيم حسن سعيد :

- الجيش في عصر المماليك ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٨٧ م .

خامساً : المراجع الأجنبية :

1-Goitien : SD: Letters of Medieval Jewish traders ,Princeton University Press 1975,p.241